التكرار الفونيمي وقيمته التعبيرية في القرآن الكريم (آيات وصف الجنّة والنّار في سورة المطفّفين نموذجاً)

دكتور جواد خانلري[1]
دكتور عباس رهبري[2]
دكتور ابراهيم نامداري[3]
محسن خوش قامت[4]
khanlarix59@yahoo.com

Abstract: Phonemic replication and its value in the Holy Quran (Verses describing paradise and fire in Surah Al-Mutafefin model)
Abstract: The phonetic study is the foundation of the new linguistic and methodological studies. The vocal structure appears in some aspects of the literary text through the vocal features that are strikingly prominent, and the natural proportion between the voices in the Qur'an is a color of the miraculous, this is for the order of the letters in accordance with their sounds and exits. Some of them are suitable for some natural occasion in whispering, speaking, tightening, honoring, vowelizing, verifying, spreading, honoring, etc. This is achieved by harmony and harmony between the nature of sounds and their vocal meanings. The research is based on a descriptive-analytical approach comparing the descriptions of Paradise and Fire in Surah Al-Mutafefin and the counting of the vowen in these verses. It revealed to us that the fonions that are most present in the description of the fire have attributes that serve the beauty of these verses as the explosion and intensity in most of these phonemes which suits the people of Hell from torment. The features of the repetitive phonemes, which record a remarkable presence in the description of the Paradise, create an image of an adaptation to the blessings that the people of Paradise enjoy in virtue and the attributes mentioned in the Quran.
Key words: Quran, phonem, repetition

الملخص: تعدّ الدراسة الفونيمية أساسا من أسس الدراسات اللسانية والأسلوبية الجديدة، فالبناء الصوتي يظهر في بعض من جوانب النص الأدبي من خلال الملامح الصوتية التي تبرز بشكل يلفت النظر إليها، والتناسب الطبيعي بين الأصوات في القرآن الكريم يعدّ لونا من ألوان الإعجازالقرآني، فهو من إعجاز النظم الموسيقي وهذا لترتيب حروفه باعتبار أصواتها ومخارجها، ومناسبة ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكريم وغير ذلك، وهو مانجده في هذه السورة متحققا من انسجام وتوافق بين طبيعة الأصوات ومعانيها الصوتية. يقوم البحث علي منهج توصيفي – تحليلي بالمقارنة بين آيات وصف الجنة والنار في سورة المطففين وإحصاء الفوينمات في هذه الآيات حيث كشفت لنا أنّ الفونيمات التي تحقّق أكثر حضورا في آيات وصف النار تمتلك سمات تخدم لجمالية هذه الآيات كسمة الإنفجار والشدّة في أكثر هذه الفونيمات التي تناسب ما يصيب أهلَ النار من العذاب. وسمات الفونيمات التكرارية التي تسجّل حضوراً ملفتاً للنظر في آيات وصف الجنّة تخلق صورة تحيل إلي النعمات التي يتمتّع منها أهل الجنّة في القيامة والصفات التي يذكر لهم القرآن، مثلاً وجود الرطوبة في نطق فونيم العين يوحي بطراوة توجد في وجوه أهل الجنّة.

[1] – الأستاذ المساعد، جامعة بيام نور، كردستان، ايران
[2] – الأستاذ المساعد، جامعة دارالمعلّمين العليا، ايران
[3] – الأستاذ المساعد، جامعة بيام نور، كرمانشاه، ايران
[4] – طالب الدكتوراه، جامعة علاّمة طباطبايي، ايران

كلمات المفاتيح: القرآن الكريم، الفونيم، التكرار

1.المقدمة

إنّ التكرار من أبرز مظاهر البلاغة القرآنية، وللأداء الفونيمي جمالية لاستيطان الشعور وتجسيده والتماس الوجدان والتفاعل مع صور الإبداع المنبعثة من عمق النص القرآني، لأنّ الفونيم أصغر وحدة صوتية في النص، وكل فونيم يمتلك سمات تؤثّر في أذن المخاطب، وفي ظلّ ظاهرة التكرار تقوم الفونيمات من خلال وقعها السمعي بتحسين اللفظ وتأكيد المعني، وإذا كان التكرار الفونيمي في خدمة المعني فهو يعطي النص تماسكاً وقوّة.

تُعدّ دراسة الفونيمات أوّل خطوة في أية دراسة لغوية لأنّها تتناول أصغر وحدات اللغة، دراسة دور الفونيم الوظيفي تساعد علي تعميق فهم النص القرآني وكشف مستواه الفني، إضافة إلي ذلک أنّ الدراسات الصوتية العربية ازدهرت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ وبات لزاماً أن تأخذ هذه الدراسات مكانها في كلّ دراسة لغوية كهذا البحث الذي يدرس القيمة التعبيرية للفونيم في آيات القرآن. نسعي من خلال هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية : هل يستطيع الفونيم أن يؤدّي دوراً دلالياً في النص القرآني من خلال قيمته التعبيرية؟ ما الفرق بين آيات وصف الجنّ وآيات وصف النار في توظيف الفونيمات؟ هل تؤدّي المعاني المتباينة إلي استخدام الفونيمات المختلفة؟ ما تنتج المقارنة بين وصف الجنة والنار في استخدام الفونيمات؟

1-1. خلفية البحث

عندنا أمثلة كثيرة من الكتب والمقالات التي تقوم بدراسة لغة القرآن خاصة موضوع العلاقة بين الصوت والمعني، مثل كتاب «التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم نموذجاً)» لمهدي عناد قبها وهو يقوم في هذا الكتاب بتحليل العلاقة بين الفونيم والمعني في بعض سور القرآن دون أن يدخل في المقارنة بين الموضوعات المختلفة في توظيف الفونيمات. أو مقالة عنوانها « دلالة الأصوات في القرآن الكريم (سورة النجم والقمر نموذجاً)» لعيسي متقي زاده وكاوه خضري، هذه المقالة تدرس دلالة الأصوات في القرآن ويذكر بعض صفات الأصوات العربية نحو الشدّة والرخوة، الجهر والهمس وتترک الصفات الأخري ولا تجعل لمخارج الفونيمات وكيفية نطقها دوراً في البنية الصوتية للقرآن. ولكن يقوم هذا البحث بدراسة دور الفونيم الوظيفي في موضوعين مختلفين (الجنّة والنّار) في سورة واحدة وهي سورة المطفّفين، نظراً إلي صفات الفونيمات ومخارجها وكيفية نطقها.

1-2.منهج البحث

اعتمد هذا البحث علي تحليل العلاقة بين الفونيم والمعني في آيات وصف الجنّة والنار في سورة المطفّفين، نظراً إلي صفات الفونيم ومخرجه وكيفية نطقه والأعضاء المشاركة في نطقه. في البداية قمنا بإحصاء الفونيمات وحساب النسبة المئوية لحضور كلّ فونيم في الآيات واخترنا الفونيمات التي تسجّل أكثر حضور في الآيات وبعد ذلک بينّا القيمة التعبيرية الإيحائية لهذه الفونيمات. وما يهمّنا في هذه التحاليل هو كشف سبب كثرة توظيف هذه الفونيمات في آيات الجنة والنار وتبيين العلاقة بين سمات هذه الفونيمات ومعاني الآيات.

2. تعريف الفونيم

الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخري، أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. فكلمة « نام » مثلا تختلف عن « قام » في المعني بالإضافة إلي اختلافهما في التركيب الصوتي، بفضل وجود فونيم النون في الكلمة الأولي والقاف في الثانية. والفرق بين « من » بكسر الميم و« من » بفتحها فرق في الصرف والنحو والمعني جميعاً. فالأولي حرف جر يفيد الإبتداء والثانية تصح أن تكون اسم استفهام أو اسم موصول ولكل منهما موقعه في البناء اللغوي ووظيفته. وترجع هذه الفروق كلها إلي وجود فونيم الكسرة في الكلمة الأولي وفونيم الفتحة في الثانية.(بشر، 2000م: 491).

2-1. الفرق بين الصوت والفونيم

هناك فرق بين مفهومي الفونيم والصوت يجب أن نتكلم عنه قبل أن ندخل في دراسة الفونيم. الصوت في اللغة: «الجَرس، وقد صات يصوت صوتاً وأصات وصوّتَ به، كلّه نادي»،(لسان العرب: ص وت)، أمّا في الإصطلاح العلمي يعرف الصوت بأنّه «تموّج الهواء ودفعه بقوّة وسرعة من أي سبب كان»،(ابن سينا، د.ت : 6)، أي هو «اضطراب مادي في الهواء يتمثّل في قوّة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر».(الموسوي، 1998م: 13).

نفهم من كل ذلك أن كل صوت مسموع يستلزم ما يأتي: أ. وجود جسم يهتزّ، بـ. وسط تنتقل فيه الذبذبات الحاصل من اهتزاز الجسم، جـ. جسم يتلقي هذه الذبذبات

إنّ مفهوم الصوت يشمل الصوت اللغوي وهو ما يستعمل الناس في تواصلهم مثل صوت الباء وغير اللغوي كالصفير والأنين.

و أما الفونيم فهو رمز لكتابة الصوت اللغوي، بمعني أنّ الفونيم وسيلة دقيقة لتسجيل المادة الصوتية، مثلاً اللغة العربية لها تسعة وعشرون فونيماً اصطلح علماء اللغة المحدثون علي تسميتها بفونيمات اللغة العربيةيضاف إليها رموز الحركات وعددها ثلاث وهي الفتحة والضمة والكسرة.

2-2. القيمة التعبيرية للفونيم

تحمل أصوات اللغة إيحاءً يؤثّر في أُذن السامع ويثير في النفس جوّاً يهيئ لقبول المعني ويوجّه إليه ويوحي به وذلك من خلال صفات الفونيم ومخرجه وكيفية نطقه والأعضاء المشاركة في نطقه. اختلاف السمات التي تمتلك الفونيمات يؤدّي إلي الاختلاف في الدلالة والإيحاء، مثلاً لا يمكن أن نقول صفة الصفير في فونيم السين يؤثّر في الأذن مثل تأثير صفة التكرير في فونيم الراء، كما يختلف إيحاء صفة الاستطالة في الضاد وامتداد النفس عند نطقه عن إيحاء انقطاع تيار الهواء في نطق التاء.

و أما بالنسبة إلي المخارج فتختلف دلالاتها بسبب عمق المخرج أو قربه من الخارج وصلابة المخرج أو ليونته. تختلف أيضاً طبيعة الأعضاء ووظيفتها عند النطق بالفونيمات مثال : إنّ اللسان كثير الحركة داخل الفم وعضو لين، خلافاً للأسنان وهي ثابتة لا تتحرّك وهي عضو صلب.

هنا نذكر آراء بعض علماء اللغة من الغربيين والعرب حول القيمة التعبيرية للفونيم :

«همبلت : إنّ اللغة تدلّ علي الأشياء بالأصوات التي تترك انطباعاً في الأذن.

يسبرسن : إنّ الأصوات في بعض الأحيان تكون رمزاً لمعناها.

جاكوبسن : إنّ الفونيمات تحمل دلالات صوتية مطّردة.

العقاد : يعتقد بوجود العلاقة بين الصوت والمعني ويذكر مثالاً : فونيم الحاء تدلّ علي الراحة (ارتياح، سماح، نجاح، فلاح، صفح، فتح، مرح).

الشدياق : من خصائص حرف الميم القطع والكسر : حسم، حطم، خزم، خضم، خرم، تجتمع هذه الكلمات علي هذه المعاني بسبب وجود الميم فيها».(عبدالكريم، 1364: 34- 35).

3. طبيعة اللغة في النص الأدبي

«تطرأ علي اللغة حين تدخل فضاء النص وتهيمن فيه الوظيفة الإبدائية تحولات ضرورية تخوّلها آداء تلك الوظيفة، وتمكّنها من لفت النظر إلي ذاتها، كما تشحنها بالقدرة علي تحمّل دلالات متعدّدة، ومن أهمّ هذه التحوّلات»: التكرار.(محلّو،2006م: 26):

3-1. التكرار الفونيمي في النص الأدبي

إنّ التكرار والبعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها. دراسة تكرار الفونيمات والمستوي الصوتي عموماً في النص الأدبي القديم دراسة مثمرة للغاية لأنّ الإنسان العربي ركّز بشدّة علي عمل الصوت، إذ تركّز علي عمل الصوت طاقة الحضارة بأسرها في الحضارات التي لا تمتلك فنوناً بصرية،كما هو الشأن عند العرب.

3-2. التكرار الفونيمي في القرآن الكريم :

إنّ التكرار من المظاهر الشائعة في القرآن الكريم بطريقة مدركة فنياً وبلاغياً. ويمثّل جانباً من جوانب البلاغة القرآنية يرد في الكلام للفائدة، ولذلک قد اهتمّ أهل اللغة بهذه الظاهرة وأخرجوا قيمته الكبري. تنوّعت مواطن التكرار في القرآن الكريم ومنها تكرار الفونيمات في الآيات والسور وهو خاصية من خصائص الأسلوب القرآني، تكرار هذه الفونيمات يحدث انسجاماً صوتياً يهيء المخاطب لقبول المعني، فونيمات اللغة العربية من خلال صفاتها وكيفية نطقها تؤثّر في الأذن وتحدث أثراً نفسياً ولذلک تكرار هذه الفونيمات يحدث انسجاماً صوتياً يهيء المخاطب لقبول المعني، مثلاً في هذه الآية : [وَ خَشَعَتِ الأَصواتُ لِلرّحمنِ فَلا تَسمَعُ إلّا هَمساً] فقد تكررّت الفونيمات المهموسة تبعاً للمقام.

سورة المطفّفين:

أبرز أهداف هذه السورة الكريمة محاربة الغش في المكاييل والموازين، وبيان أن هناك يوما بعد الموت يحاسب فيه النّاس على أعمالهم حيث يُجازى الأبرار بجنّات النعيم والفجّار بنار الجحيم، وقد روي أنه لمّا قدم النبي صلّى الله عليه وسلم المدينة المنورة كان أهلها أسوأ النّاس كيلاً فأنزل الله تعالى [وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ].

آيات وصف أهل النار:

كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيلٌ يوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يكَذِّبُونَ بِيوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(12) إِذَا تُتْلَى عَلَيهِ آياتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ

(13) كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يكْسِبُونَ(14) كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17).

أكثر الفونيمات حضوراً في آيات وصف أهل النّار:

جدول رقم (1)

الرقم	الفونيم	التكرار	النسبة المئوي	الرقم	الفونيم	التكرار	النسبة المئوي
1	ل	30	%15/46	6	ي	9	%4/63
2	ک	14	%7/21	7	و	8	%4/12
3	ء	13	%6/70	8	ت	8	%4/12
4	ب	13	%6/70	9	ج	8	%4/12
5	ذ	12	%6/18	10	ث	3	%1/54

يحقّق فونيم اللام أكثر حضور في آيات وصف أهل النّار، نسبته: 15/46%، «وهو فونيم جانبي، لأنّ أحد جانبي اللسان أوكليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس ولا يمكن للهواء المرور من وسط اللسان فيتسرّب من جانبيه»،(الموسوي،1998م: 69)، انحراف تيار الهواء من طريقه المستقيم عند النطق باللام يتمثّل في انحراف أهل النار عن الصراط المستقيم وابتعادهم عن الطريق الصواب في الدنيا، وذلک أدّي إلي النّار في الآخرة.

يؤكّد هذه الدلالة في فونيم اللام حديث عن الإمام علي (ع) وهو يقول: «اليمين والشمال مضلّة والطريق الوسطي هي الجادة».(نهج البلاغة/خطبه 16). فالطريق المستقيم لخروج تيار الهواء عند النطق بالفونيمات هو وسط اللسان، إلّا أنّ الهواء يخرج من جانب اليمين أوالشمال أو الجانبين كليهما عند تحقيق فونيم اللام.

«أمّا اللسان فهو عضو مرن كثير الحركة داخل الفم ويتألّف تركيبه من عدد كبير من العضلات التي تمكنّه من التحرک والإنكماش والإمتداد والتلوي في كل إتّجاه»،(عبد التوّاب،1985م: 26)، وفي نطق فونيم اللام هو يسبّب انحراف الهواء عن الطريق المستقيم، ويوحي بالأسباب التي تؤدّي إلي انحراف أهل النّار وفي رأسها الشيطان وهو دائماً في التّحرک كتحرّک اللسان. وصفة الخنّاس في الشيطان تمثّل إنكماش اللسان وإمتداده لأنّها بمعني «إنقباض الشيطان وتأخّره عند ذكر الله»،(معلوف،1384هـ: مادة خنس).

بعد اللام يأتي فونيم الكاف في الرتبة الثانية بحضور نسبته: 7/21%، و«هو فونيم مطبق»،(السعران،د.ت: 155)،«أي عند النطق به يتصعّد أقصي اللسان شيئاً قليلاً حتي يصير مقوّساً»،(قدّوري،2009م:59)، ويشبه القبّة حيث «يكون الطبق علي اللسان كالغطاء له»،(الموسوي،1998م: 58)، كما تغطّي المعاصي والذنوب قلوبَ أهل النّار شيئاً فشيئاً وينطمس نورها، وتموت بصيرتها، فتنقلب عليه الحقائق، فترى الباطل حقًا، والحق باطلًا حتي أصبحت النّار مصيرهم.

هذا من جهة ومن جهة أخري، إنّ «الإطباق لغة بمعني الإغلاق»،(فيروزآبادي،1983م،مادة طبق)، وذلک مناسب للدلالة علي عذاب الحجاب من رب العالمين لأنّ الإغلاق والتغطية يحيلان إلي سدّ الطريق والصيانة،

والذين غطّت المعاصي قلوبهم فإنّهم محجوبون عن الله كما حجب قلوبهم في الدنيا عن آيات الله. وعذاب الحجاب من الله، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، هو أعظم عليهم من عذاب النار.

يلي الكافَ فونيمُ الهمزة مسجلاً حضوراً قدره: 6/70%، «إغلاق الوترين الصوتيين إغلاقاً تاماً عند النطق بالهمزة»،(الموسوي،1998م:86)، يؤكّد دلالات فونيم الكاف علي عذاب الحجاب عن الله.

و«صفة الإنفجار في فونيم الهمزة»،(سيبويه، 1991م،ج4،:434)، وشدّة وقعه في الأذن تنصان علي عظم الأمر الذي تحمله الآيات (الحوادث التي يشهدها الفجّار والمكذّبون في القيامة) وتدلّان علي أنّ عذاب أهل النّار شديد. يندرج في نفس الإطار الدلالي «فونيم الباء الإنفجاري الشديد»،(بشر،2000م:248)، بنفس نسبة حضور الهمزة،(6/70%)، هنا جدير بالذكر أنّ نسبة حضور الفونيمين الأخيرين في آيات وصف أهل الجنّة قليل بالمقارنة مع حضورهما في آيات وصف أهل النّار، حيث يحقّق فونيم الهمزة:4/21% وفونيم الباء: 4/81%، وذلک يدعم مناسبة دلالات الفونيمين لآيات وصف أهل النّار.

تعتبر (4) من الفونيمات التي يحلّ في جدول وصف أهل النّار،انفجارياً: ء، ب، ک، ت. بينما لا يوجد فونيم انفجاري في آيات وصف أهل الجنّة إلّا القاف.

اجتماع الفونيات الإنفجارية في آيات وصف أهل النّار يقوم علي أساس مناسبة دلالة الإنفجار لهذه الآيات.

أمّا بالنسبة للمخرج فالهمزة من أعمق الفونيمات، «لأنّه من الحنجرة»،(إبراهيم،د.ت: 104)، دلالات عمق المخرج تلائم مشهد وصف مأوي أهل النّار وهو " سجّين " « وقيل هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم».(طبري،1405هـ،ج24: 295).

بعد صفة الإنفجار القوي جاء دور صفة الجهر في فونيم الذال الذي يحقق حضوراً نسبته: 6/18%، لتعكس سخط الله وغضبه علي الفجّار، لأنّ «الجهر أقوي من الهمس نطقاً وسماعاً»، وفي معرض الحديث عن الكلام يدّل الجهر علي علّو الصوت، (عناد،2013م: 13و 14)، فعلّو الصوت وجهره مناسب لحالة الغضب، كأنّ الله في هذه الآيات يخاطب الفجّار بغضب ويوعدهم بالعقوبة، لأنّهم يفعلون ما سخط الله عز وجل، وهو تكذيب يوم الدين. وإضافة إلي ذلک «اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالفونيمات المجهورة»،(إبراهيم،2004م: 22)،و هو يدلّ علي الإضطراب وعدم القرار، يعزّز دلالة الجهر علي الغضب.

عند النطق بفونيم الذال يخرج الهواء من المجري الضيق»،(الموسوي،1998م: 58)، وضيق المخرج في الذال مناسب للدلالة علي " السجين " و«هو المحل الضيق الضنک»،(السعدي،2000م،ج1: 915).

و« المخرج الأسناني »،(بركة، 2007م:121)، البارز لفونيم الذال يحمل دلالات تلائم ما يقوم به الفجّار في الدنيا، لأنّ بروز اللسان وخروجه من إطار الفم يوحي بالتجاوز وكسر الحدود، كما يتجاوز الفجّار حدود الله ويتعدّاها كما يقول تعالي: [وما يُكذّبُ بيوم الدين إلا كُلُّ مُعْتَدٍ].

تتّضح أهمية دور الذي يلعبه فونيم الذال في آيات وصف أهل النّار، عندما نقارن نسبة حضوره في هذه الآيات مع آيات وصف أهل الجنّة، فهو يسجّل حضوراً ضئيلاً في آيات وصف أهل الجنّة نسبته: 0/60%، وذلک بسبب عدم تلائم سماته مع هذه الآيات.

يأتي بعد الذال فونيمان متتاليان «يتميزان بسمة الإنتقالية وهما الياء والواو»،(عبد التوّاب،1985م: 100)، أي «تتّخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الكسرة في تحقيق فونيم الياء والضمّة في تحقيق فونيم الواو، ثمّ تترك هذا الوضع بسرعة إلي حركة أخري»،(بشر،2000م: 369). وذلک بمعني أنّ الفونيمي الياء والواو لا يحقّقان إلّا بعد ذلک الإنتقال من وضع إلي آخر.

«يعتبر الياء والواو من أنصاف الحركات»،(المصدر نفسه: 368)، وهناک فرق بين الياء والواو كنصف حركة وبين الكسرة والضمّة كحركتين، وهو «ضيق المجري مع الواو والياء بالنسبة للكسرة والضمّة».(عمر،1997م: 330). أي إنّ الإنتقال من الكسرة والضمّة إلي الياء والواو هو إنتقال من مكان واسع إلي مكان ضيق، كإنتقال الفجّار من الحياة الدنيا التي يتمتّعون بها إلي الجحيم.

يتجاوز الفجّار حدود الله وينحرفون عن الحق ويشتغلون بالملذّات والمعاصي وكل ذلک يناسب سعة المخرج في الحركتين، كأنّ الفجّار لا يواجهون في الدنيا شيئاً يعيق طريقهم في كسر الحدود ويضيق إطار تجوالهم، ولكن في القيامة ينتقلون من هذه السعة إلي مكان ضيق يعانون فيه من قيود العذاب.

وأمّا «صفة الجهر في الياء والواو»،(الموسوي،1998م: 90)، واهتزاز الأوتار الصوتية عند نطقهما يدعمان دلالات فونيم الذال علي سخط الله وغضبه علي الفجّار.

هناک فرق بين الياء والواو يؤدّي إلي تأخّر الواو (بحضور نسبته: 4/12%) من الياء(بحضور نسبته: 4/63%) في الجدول وهو عمق المخرج في الياء بالمقارنة مع الواو لأنّ «الياء غاري والواو شفوي»، (المصدر نفسه: 90)، المخرج الغاري العميق في الياء يؤكّد دلالات الهمزة علي مأوي أهل النار في القيامة.

يتمّ النطق بفونيم التاء الذي يسجّل حضوراً قدره: 4/12%، بعد «اتصال اللسان باللثة والأسنان العليا»،(عبد النّبي،2013م: 29)، اجتماع عضوين متناقضي الطبيعة في نطق التاء: اللثة اللين والأسنان الصلب، يحمل الدلالة علي جانبين من حياة الفجّار: جانب في الدنيا وهو يتميز برغد العيش والتمتّع بالملذّات، هذا الجانب من حياة الفجّار يحيل إلي عضو لين رخو في نطق التاء أي اللثة، وجانب آخر في القيامة وهو مليء بالمعاناة والعذاب ويناسبه عضو صلب في نطق التاء أي الأسنان.

هذا من جهة ومن جهة أخري إنّ «الأسنان من أعضاء النطق الثابتة»،(الموسوي،1998م: 35)، ثبوت الأسنان وعدم تحرّكها يوحيان بثبات الجانب الصلب من حياة الفجّار وهي الحياة الآخرة، فلا يبقي التمتّع بالملذّات واشتغال بالمعاصي في الدنيا ولكنّ الحياة الآخرة وعذابها كما يقول تعالي: [أشدّ وأبقي]،(طه/127).

كان فونيم التاء كما ينصّ العلايلي، «يدلّ علي الإضطراب في الطبيعة»،(العلايلي،د.ت: 210)، وهذا الفونيم الإنفجاري المهموس يعكس ما يجده الفاجر في فجوره ولهوه من توتّر وضلال وتخبّط.

ممّا يؤكّد دلالة التاء علي الإضطراب، أنّ معظم الآيات التي تنتهي بهذا الفونيم في القرآن الكريم، تحمل في مضمونها هذه الدلالة، كالآيات التي تبدأ بها سورة الإنفطار، فهي تصوّر ما يحلُّ بالكون يومَ القيامة: [إذا السماء انفطرت]،[و إذا الكواكب انتثرت ...]،(الإنفطار/1 و2)، وفي هذه الأهوال دونَ شک، اضطراب عظيم، أضف

إلي ذلک «أنّ هذا الفونيم يرتبط بعيوب النطق الإضطرابية، فهو يرتبط بالتأتأة والتمتمة. أما الأولي فهي تكرار التاء عند الكلام وأمّا الأخري فهي ردُّ الكلام إلي التاء والميم».(صالح،د.ت: 97).

و لفونيم الجيم الذي يحقّق حضوراً نسبته: 4/12%، ثقل في النطق شديد ومن شأنه أن يوحي بما يجده الفاجر من ألم وعذاب في القيامة.

و "للسجّين" الذي مأوي الفجّار نصيبه من فونيم الجيم وهو يعكس صفاته، فنجد هذا الفونيم بوروده (4) مرّات في الآية: [إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين]، يعكس المراتب السافلة للفجّار في القيامة من خلال «عمق مخرجه الشجري»،(الضباع،1950م: 290)، والسجّين كما ذكر أسفل الأرض السابعة.

و قيل «السجّين هو الجهنّم، لأنّه كسجن للمجرمين وزيادة الفونيمات فيه للدلالة علي شدّة العذاب في هذا السجن».(رضائي،1401ق: 87). ويدلّ علي تلک الشدّة ثقل فونيم الجيم علي اللسان عند نطقه وثقله في الأذن عند سماعه لكونه فونيماً مركّباً: «أي يجمع بين الإنفجار والإحتكاک فهو يبدأ عند نطقه انفجارياً وينتهي احتكاكياً».(النوري،1999م:157).

و أمّا كلمة "الفجّار" فمشترک مع "الإنفجار" في مادته فَجَرَ ويعني الشق الواسع وسمّي بياض الصبح بالفجر لأنّه يشقّ ستار الظلام. ولما كانت الذنوب تهتك ستار الدين فإنّها سمّيت بالفجور.

آيات وصف الجنّة : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(19) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ(20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ(21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ(23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(24) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ(25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ(26) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ(27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ(28).

أكثر الفونيمات حضوراً في آيات وصف أهل الجنّة:

جدول رقم (2)

الرقم	الفونيم	التكرار	النسبة المئوي	الرقم	الفونيم	التكرار	النسبة المئوي
1	ن	21	% 12/65	6	س	5	%3/01
2	م	18	% 10/84	7	ق	5	% 3/01
3	ر	16	% 9/63	8	ش	2	% 1/20
4	ف	8	% 4/81	9	خ	2	% 1/20
5	ع	7	% 4/21	10	فتحة	66	%43/13

بين الفونيمات التي تستخدم في آيات وصف أهل الجنّة يحلّ فونيم النون في الرتبة الأولي بحضور نسبته : 12/65% ، يدلّ فونيم النون «بسمته المميزة : الغنّة»،((قدّوري،2009م:61) علي اعتزاز أهل الجنّة بنفسهم خلال هذه الآيات وتغنّيهم وترنّمهم بما فعلوا واكتسبوا في حياتهم ورضاهم بحالهم ومكانتهم الجديدة.

إذا كانت العربية تربط العزّة والذلّ بالأنف كقولنا: " شمخ بأنفه: تكبّر ورغم أنفه : ذلّ "، فإنّ من شأن النون أن يشعرنا في ظلّ الحديث عن الجنّة بما يجده الإنسان من عزّة وافتخار في الجنّة. لكونه فونيماً لا يكون دون الأنف «لأنّک لو أمسكت بأنفک لم يجر معه الصوت»،(سيبوية، ج4: 435).

و بتضافر الغنّة مع قوّة الإسماع العلياء في النون يزداد هذا التغنّي وتلك الإشادة علوّاً وجهراً.
يعضد النون شريكه في صفة الغنّة وقوّة الإسماع وهو فونيم الميم الذي يسجّل حضوراً قدره: 10/84% ، ويبدو تقدم النون في الترتيب قائماً علي أساس:
أ-أنّ حفز الهواء في النون أشدّ منه في الميم.
ب-أنّ الطاقة المبذولة في النون (2:11 ميكروواط) أكبر من تلك التي في الميم (1:85).(الحمداني،د،ت:96).
و هاتان الميزتان تؤهّلان النون لحيازة غنّة أكثر وضوحاً وبالتالي قدرة أوفر للدلالة علي التطريب والتغنّي.
لا تنحصر دلالة الطاقة المبذولة في نطق علي هذا بل تتعدّي إلي أنّها تمنح أولوية الدلالة علي الكفاح وبذل الجهد من أجل تحقيق الأهداف كما يفعل أهل الجنّة في الدنيا وهم أهل الكفاح والصبر أمام الشدائد وهو الذين يتعبون أنفسهم في العبادة ويتحمّلون المشقّات.
هذا من جهة ومن جهة أخري يعتبر فونيما النون والميم من الفونيمات المائعة أي متوسّطة بين الشدّة والرخوة وذلك من خلال احتواهما علي :
-ملمح قوّة من خلال سدّ مجري الهواء سدّاً تاماً في موضع المخرج الأصلي.
-و ملمح ضعف من خلال انفتاحه في مجري ثانوي في كل منهما.
هذا الإحتواء علي ملمحين (الشدّة والرخوة)، يدلّ علي ثنائية حياة أهل الجنّة : الشدّة في الدنيا / والرخوة في الجنّة. لأنّهم يجتنبون من الملذّات والمعاصي ويتحمّلون الصعوبات في الدنيا وفي الآخرة يتمتّعون من النعمات والملذّات.
هناك فونيم متوسّط آخر يحلّ في الرتبة الثالثة بعد الميم وهو فونيم الراء بحضور نسبته : 9/63 %، ليؤكّد دلالات النون والميم علي ثنائية: شدّة / رخوة في حياة أهل الجنّة.
يتميز فونيم الراء بصفة التكرير، والتكرير في اللغة مصدر كرّر الشيء أي أعاده مرة بعد أخري،(ابن منظور، مصدر كرّر). وهو يوحي
بتكرار نعمة الشرب من عين تختصّ بالمقرّبين في الجنّة، في سورة المطفّفين جاء الفعل في الآيات التي تتحدّث عن هذه النعمة مضارعاً حيث يقول تعالي: يسقون ويشرب، ليدلّ علي أنّ نعمات الجنّة مستمرّة لا تنقطع.
يتمّ النطق بفونيم الفاء الذي يسجّل حضوراً نسبته :4/81 %، بمشاركة سطح الشفة السفلي والفك العلوي وهي مساحة ممتدّة مقارنة بمخارج كثير من الفونيمات الأخري، هذا الإتّساع في مخرج الفاء يدلّ علي راحة أهل الجنّة وسعة النعمات المتوفّرة لهم، لأنّهم يتمتّعون من كلّ الملذّات والنعمات الواسعة دون أن يقيدهم قيد ويمنعهم مانع وكلّما أرادوا شيئاً يتوفّر لهم بسهولة.
و مثل الفاء فونيم العين وهو يحقّق حضوراً نسبته : 4/21 %، لأنّه متّسع المخرج ويدعم دلالات الفاء علي سعة النعمات.
هذا من جهة ومن جهة أخري «يعتبر فونيم العين فونيماً احتكاكياً»،(السعران،د.ت: 178)، عند النطق بالفونيمات الإحتكاكية يستمرّ تيار الهواء من المجري الهوائي وهذه السمة في العين تعضد دلالات فونيم الراء علي استمرار التمتّع من نعمات الجنّة.

و ما هو جدير بالإشارة هنا أنّ الفونيمات التي تسجّل أكثر حضور في آيات أهل الجنّة، ستة فونيمات احتكاكي وفونيم واحد انفجاري وما بقي متوسّطة. هذا الحضور المكثّف للفونيمات الإحتكاكية في آيات وصف أهل الجنّة يؤكّد دلالات العين علي الإستمرار والدوام.

يصف القرآن أهل الجنّة بأنّ في وجوههم نضرة النعمة وهذه النضرة تُوحي بالطراوة واللطافة وكلّ هذه الصفات تتمثّل في «الرطوبة التي نجد عند النطق بفونيم العين».(ابن سينا، د.ت: 72).

تزداد دلالات الرطوبة أهمية عندما نجد فونيم العين من الفونيمات المكوّنة لكلمات مثل النعيم والعين، لأنّ العين مصدر الماء والرطوبة وهي من نعمات الجنّة والنعيم هو عامل للطراوة واللطافة (و في وجوههم نضرة النعيم).

يدعم دلالات الرطوبة في العين فونيمُ الشين وهو يحقّق حضوراً نسبته: 1/20 %، «و في نطق الشين أيضاً تتوفّر الرطوبات»،(ابن سيناد.ت:)، لا تنحصر دلالات الشين علي هذا بل تتعدّي إلي أن صفة التفشّي في الشين يحيل إلي الإنتشار والإنتشار يندرج في الحقل المعنايي للمسک الذي ختام شراب أهل الجنّة: تنتشر شذي المسک من ختام هذا الشراب كما ينتشر الهواء عند النطق بفونيم الشين.

ولكن الشين يتأخّر عن العين مسجّلاً حضوراً ضئيلاً وسرّ ذلک يكمن في المخرج الغاري للشين والغار هو الجزء الصلب من سقف الحنک، صلابة المخرج في الشين تُوحي بالظروف الصعبة وتنافي حياة المؤمنين في الجنّة وهم يعيشون في النعمة واللذة.

بعد الشين يأتي فونيم القاف بحضور نسبته : 3/01%، «يعتبر هذا الفونيم من الأصوات المفخّمة»،(ابن الجزري 2009م، ج1: 202)،، أي عند النطق به يزتفع اللسان نحو سقف الفم وهذا الارتفاع وعلوّ مكان اللسان في الفم يحيل إلي المكانة الرفيعة التي يتمتّع بها أهل الجنّة والأبرار لأنّ كتابهم في علّيين والله تعالي يكرمهم ويرزقهم من رحمته رضي عنهم وذلک أعلي الدرجة في القيامة.

يتمّ النطق بفونيم السين الذي يحقّق حضوراً نسبته : 3/01 %، «بأن يلتقي طرف اللسان بالثنايا السفلي ومقدمته تلتصق باللثة، بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجري ضيق جداً»،(الموسوي،1998م:67)، وهذا الضيق في مخرج السين يتمثّل في ضيق الحياة لأهل الجنّة في الدنيا، ولكن حياة الدنيا المليئة بالصعوبات والحرمان من الملذّات قصيرة مرّت بسرعة كما ينفلت الهواء ويمرّ بسرعة من المجري الضيق عند النطق بالسين.

أما المخرج الطبقي لفونيم الخاء الذي يسجّل حضوراً نسبته: 1/20 %، فيناسب للدلالة علي الهدوء ورغد العيش في الجنّة لأنّ الطبق هو الجزء اللين من سقف الحنک والرخاوة والليونة تُوحي بالراحة والسهولة، حضور فونيم الجيم الغاري في آيات وصف أهل النّار يؤكّد هذه الدلالات لأنّ الغار هو الجزء الصلب من سقف الحنک والصلابة لا تناسب للدلالة علي النعمة ورغد العيش، تتّضح أهمية هذه الدلالات في الخاء عندما نعلم أنّ هذا الفونيم يغيب تماماً عن آيات وصف أهل النار.

و أمّا بين الصوائت يسجّل صائت الفتحة حضوراً نسبته :43/13 %،«يتّصف هذا الصائت بسمة الأمامية أي عند نطق هذا الفونيم يتقدّم اللسان نحو الأمام»،(عبدالفتاح،د–ت:119)، هذا التقدّم في نطق الفتحة يتجسّد في تنافس المتنافسون في طريق الوصول إلي نعمات الجنّة حيث يقول تعالي:[و في ذلک فليتنافس المتنافسون]، كما

نعلم ماهية التنافس تقتضي التقدم نحو الأمام، شوق المؤمنين إلي الجنّة ونعماتها يدفعهم إلي التنافس كأنّهم يسبق بعضهم بعضاً ويتقدّم نحو الأمام.

4. النتيجة :

التكرار ظاهرة تميز بها النص القرآني في مواضع اقتضاها السياق لتحقيق المقاصد، وقد التزم به علماء اللغة لما له من أثر في تقوية العلاقة بين الصوت والدلالة فمن الجانب الصوتي هناك تنوع في تكرار الفونيمات حسب المواقف، فالقرآن يوظّف الفونيم المتكرّر لتقرير الدلالة المقصودة. وهذا الإهتمام بالتكرار لما له من أثر صوتي يفضي علي النص نزعة جمالة.

تلعب الفونيمات دوراً دلالياً في القرآن الكريم من خلال صفاتها ومخارجها وكيفية نطقها والأعضاء المشاركة في نطقها، تتضح أهمية هذه القدرة في الفونيمات عندما نقوم بالمقارنة بين المقاطع المختلفة في القرآن الكريم، المقارنة بين آيات وصف الجنة والنار في سورة المطففين وإحصاء الفوينمات في هذه الآيات تكشف لنا أنّ الفونيمات التي تحقّق أكثر حضور في آيات وصف النار تمتلك سمات تخدم لجمالية هذه الآيات، مثلاً سمة الإنفجار والشدّة في أكثر هذه الفونيمات تناسب للدلالة علي ما يصيب أهلَ النار من العذاب. وسمات الفونيمات التي تسجّل حضوراً ملفتاً للنظر في آيات وصف الجنّة تخلق صورة تحيل إلي النعمات التي يتمتّع منها أهل الجنّة في القيامة والصفات التي يذكر لهم القرآن، مثلاً وجود الرطوبة في نطق فونيم العين يوحي بطراوة توجد في وجوه أهل الجنّة.« في وجوههم نضرة النعيم».

المصادر:

القرآن الكريم

إبراهيم، أنيس،(2007م)،«الأصوات اللغوية»، ط4، القاهرة: مكتبة الأنجلو.

ابراهيم، عبدالفتاح، (لاتا)، «مدخل في الصوتيات»، تونس دارجنوب.

ابن الجزري، محمد بن محمد، (2009م)، «النشر في قراءات العشر»،بيروت، المطبعة التجارية الكبري.

ابن سينا،أبوعلي الحسين بن عبد الله، «أسباب حدوث الحروف»، تحقيق: محمد حسّان الطيان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.لا تا.

ابن منظور، محمد بن مكرم،«لسان العرب»، بيروت: دارصادر، 2010م.

بشر، كمال،(2000م)،«علم الأصوات»، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

الحمداني، موفق، «اللغة وعلم النفس»، مديرية الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، لاتا.

رضائي،محمد، (1401ق)،« واژه هاي قرآني»، تهران: انتشارات مفيد.

السعران، محمود،(1997م)، «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، القاهرة: دار الفكر العربي، ط2.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،(2000م)،«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».المحقق : عبد الرحمن بن معلا. مؤسسة الرسالة. ط1.

سيبويه، أبوبشر عمرو، (1316هـ)، «الكتاب»، القاهرة: مطبعة بولاق.

صالح فخري محمد.(د.ت)،«اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاءً وكتابةً»، ط2، دار الوفاء.
الضباع،علي محمد،(1950م)،«كنوز الفرقان، مخارج الحروف»،العدد 10. السنة2.
عبد التواب، رمضان، (1985م)، «المدخل إلي علم اللغة ومناهج البحث»، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2.
عبد الكريم، مجاهد،«العلاقة بين الصوت والمدلول»، نشرية تاريخ، 1364ق، العدد 53.
عبد النبي،ناصر،(2013م)،«فصول في علم الأصوات مع دراسة لظاهرة الإبدال عند ابن جني»،القاهرة: مكتبة الآداب.
العلايلي عبد الله،(د.ت)،«مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد»، القاهرة: المطبعة العصرية.
عمر، أحمد مختار،(1997م)،«دراسة الصوت اللغوي»، القاهرة: عالم الكتب.
عناد قبها، مهدي، (2013م)، «التحليل الصوتي للنص»،عمان: دارأسامة.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب،(لاتا)، « القاموس المحيط»، بيروت: دارإحياء التراث العربي.
قدوري، غانم،(2009م)،«الميسّر في علم التجويد»، جدّة: مركز الدراسات القرآنية، ط1.
محلّو،عادل،(2006م)، «الصوت والدلالة في شعر الصعاليک تائية شنفري نموذجاً»،الجزائر: جامعة الحاج لخضر.
معلوف، لويس،(1384ه)، «المنجد»، طهران، دار العلم.
الموسوي، محمد مهدي،(1998م)،«علم الأصوات اللغوية»، ط1،بيروت:عالم الكتب.
النوري، محمد جواد،(1999م)،«علم أصوات العربية»، ط1،عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة.